مجلة الإحياء، المجلد: 20، العدد: 26، سبتمبر 2020، ص - ص: 647 – 678
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

# سياسة الجيش الفرنسي في دعم الاستيطان الأوروبي في الجزائر خلال حكم الماريشالين كلوزيل وبيجو (1830-1847)

# The French army's policy to support European settlement in Algeria during the rule of marshals Clauzel and Bugeaud

**طالب دكتوراه فاتح زياني[1] أ.د/ السبتي غيلاني**
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة باتنة 1
**مخبر الأبحاث والدراسات المتعددة التخصصات في القانون والتراث والتاريخ**
ghilanisebti@gmail.com francis.05@hotmail.fr

**تاريخ الإرسال: 2020/04/18 تاريخ القبول: 2020/08/27**

**ملخص:**

لقد اعتمدت سياسة الاحتلال الفرنسي في الجزائر على مقاربة أساسها الغزو والسلب لأراضي الجزائريين من جهة، ودعم الاستيطان الأوروبي في الجزائر بكل الوسائل الممكنة. وقد كان للجيش الفرنسي خلال العقدين الأوليين للاحتلال دورا كبيرا في ذلك،لاسيما في عهد الماريشالين برتراند كلوزيل، والماريشال توماس روبير بيجو. ولذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى إبراز إستراتيجية الجيش الفرنسي في دعم هجرة المستوطنين الأوروبيين نحو الجزائر، والكشف عن الدور الذي لعبه الحكام العسكريين الأوائل "كلوزيل وبيجو" في التأسيس لقاعدة استيطانية أوروبية في الجزائر.

**الكلمات المفتاحية:** الاستيطان الأوروبي؛ الهجرة؛ الجيش الفرنسي؛ كلوزيل؛ بيجو.

## Abstract:

The policy of the French occupation In Algeria relied on its approach, the basis of wish was the invasion and plundering of the lands of the Algerians, on the one hands, and the support of European

[1] - المرسل المؤلف.

settlement In Algeria by all possible means. During the first two decades of the occupation the French army had a great role in this, especially during the reign of marshal's Bertrand Clauzel and Thomas Robert Bugeaud. Thus, this study aims to highlight the strategy of the French army in supporting its immigration and the establishment of a European settlement base.

**Key words**: European settlement; the immigration; French army; Bugeaud, Clauzel

**مقدمة**

ارتكزت سياسة الجيش الفرنسي في الجزائر على عدة أبعاد وأهداف سياسية واقتصادية واجتماعية وحضارية، ولكي تحقق فرنسا استمرارية وجودها العسكري وتضمن مصالحها الجيو-استراتجية في الجزائر، وضعت في مقدمة أولوياتها سياسة تعمل على تشجيع الاستيطان الأوروبي وتفتح باب الهجرة الأوروبية على مصرعيه لكل الشرائح المتباينة للمجتمعات الأوروبية ، بغية إحداث تغيير ديموغرافي وتغليب العنصر الأوروبي على حساب الأهلي،ولنجاح المشروع الاستيطاني سعت بدعمه بكل الإمكانات والوسائل الممكنة ،ولعل أبرز ركائز الاستيطان هي الأرض التي مثلت دعامة الاستيطان الرئيسية وجوهر المشكلة الأساسية في الصراع بين المستوطنين والأهالي فيما بعد.إذن فما هي تلك الإستراتيجية التي اعتمدها الجيش لتكريس الاستيطان على أرض الواقع ؟ وما دور قادته (كلوزيل- بيجو) في ذلك؟.

**أهداف الدراسة وأهميتها:** تهدف الدراسة إلى إبراز مايلي:

- إبراز دور الجيش الفرنسي خلال السنوات الأولى للاحتلال، واستراتجيه المتبعة في دعم الاستيطان الأوروبي في الجزائر، بدءا من تسهيل هجرة الأوروبيين من مختلف البلدان الأوروبية، وتوفير قرى استيطانية جديدة لهم على حساب الأهالي وانتهاء بمساعدتهم على التحكم في مفاصل المستعمرة سياسيا واقتصاديا. ولذا تندرج هذه الدراسة لكشف جانب مهم من تاريخ الجزائر المعاصر أثناء الأيام الأولى للاحتلال.

- تحديد أهمية الجيش الفرنسي عموما، وقيادته بشكل خاص في إرساء القاعدة الاستيطانية كوسيلة ضرورية وحتمية لبقاء الاحتلال الفرنسي في الجزائر،على اعتبار أن الاستيطان هو روح الاحتلال ، وضمان سيرورته.
- تأتي الدراسة كمحاولة جديدة لتشكف جوانب أخرى لسياسة الجيش الفرنسي، الذي طالما ارتبط بالبطش والتوسع والإبادة، وتوضح الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية في إستراتجية الجيش الفرنسي في الاحتلال.

**أولا: سياسة قادة الجيش الفرنسي فيدعم الهجرة الأوروبية إلى الجزائر مابين 1830-1848**

**1- ظروف الهجرة الأوروبية إلى الجزائر وعقباتها:** لقد صرح شارل فوريي[1]، حول الاستيطان ،وهو في بداياته في الجزائر، بمايلي: "مع الوقت سوف نحصد ما زرعناه في هذه الأرض الإفريقية الخصبة، إن إرادة الله تجعل منا فاتحين جدد لهذا البلد سنساعد الأوروبيين لتعميره، وسوف يستمتعون بصيد العقبان، والنمور، والحيات....، جهزوا أنفسهم – يقصد المهاجرين- للهيمنة على هذا البلد وسكانه، ليس من أجل فرنسا فحسب، وإنما من أجل العالم بأكمله"[2].

كان لكلام فوريي وتصريحات وخطابات العديد من العسكريين والمنظرين الكولونياليين تصيب شرائح متعددة من المجتمع الفرنسي، فالسياسة الدعائية التي روج لها جيش الاحتلال وإدارته بإتقان -لاسيما خلال السنوات الأولى للغزو-، قد بدأت تجني ثمارها، فكلما تحسنت الأوضاع الأمنية وخبت نار الانتفاضات والمقاومة الوطنية، تشجع الأوروبيون للهجرة أكثر، وكانت الوجهة المفضلة لهم هي الجزائر، وبالمقابل فكلما تدهورت الظروف الأمينة تعكّر صفو الراغبين في الهجرة، لأن المهاجر الأوروبي أصبح خوفه مزدوجا، الخوف الطبيعي والمبرر من عدوانية الأهلي المدافع عن أرضه المسلوبة، والخوف غير المبرر واللامعقول من تراخي الجيش في الدفاع عن أمنه، وضمان مستقبله، وهو ما أدى إلى تنامي مشاعر الغضب لدى المستوطنين الأوائل من الجيش لاتهامهم إياه بالتقاعس في ضمان الأمن لهم، وكل ذلك كان له الأثّر السلبي في تذبذب وتيرة الهجرة الأوروبية خلال العقود الأولى التي تلت الاحتلال[3].

ورغم ذلك فقد كان تدفق المهاجرين خلال الشهور الأولى للاحتلال كبيرا، وتميّز بحالة من الفوضى العارمة، مما أثبت جليا عن غياب خطة للتوطين المنتظم من قبل الحكومة الفرنسية، مما جعلها تعيد التفكير في خططها للاستقدام المهاجرين في المستقبل بما يتناسب والإمكانيات المتاحة، حيث أقدمت السلطات الفرنسية على إصدار قوانين ومراسيم تنظيمية لاحتواء مشاكل المستوطنين الجدد وتحسين حالتهم، ووضع برنامج شامل يراعى فيها تحديد شروط الهجرة، ويضبط مواصفات محددة لنوعية المهاجرين المطلوبين، وكذا وضع مسح اجتماعي ونفسي كامل لاستظهار مدى قدرة المهاجر في التأقلم مع الحياة في شمال إفريقيا، ومن أجل ذلك أصدرت الجهات الوصية قراران منظمان للهجرة، أولاهما قرار15نوفمبر1830، ثم أردفته بقرار مماثل يوم 25أبريل 1831، ونص القراران على ما يلي:

- وجوب امتلاك للمهاجر لجواز سفر.
- وجود تصريح للإقامة في الجزائر.
- امتلاك مبلغ مالي كاف للمهاجر ينفقه ريثما يتحصل على عمل قار بالجزائر.

إلا أن تلك الإجراءات للحد من ظاهرة الهجرة الفوضوية، وجعلها أكثر انتظاما وانتقائية باءت بالفشل، فقد استمر تدفق المهاجرين غير المرغوب فيهم والمحسوبين على التيار المعارض للملكية أومن المتسولين... وغيرهم، بحيث أصبحت مراكز العبور سهلة الاختراق، وذلك بسبب تواطؤ ربان السفن في إخفاء المهاجرين، وتزوير شهادات حسن السيرة التي تخوّل الراغب في الهجرة الحصول على جواز سفر[4].

ورغم ذلك فلم يكن طريق الهجرة دوما مفروشا بالورود، فقد انكسرت أحلام المهاجرون الجدد بمجرد وصولهم إلى الجزائر، واصطدموا بواقع صعب، زادته ظروف الاستقبال المتدهورة سوءا، وعن ذلك وثّق لنا أحد المهاجرين من منطقة الفراكومنتوا بفرنسا في مذكرة له التجربة المريرة التي كابدها المهاجرون في رحلتهم الاستيطانية نحو الجزائر، حيث كتب:"انطلقنا في باخرة من مارسيليا نحو مدينة الجزائر في 25 سبتمبر، وكانت الرحلة بداية للعذاب الذي عانيناه، ولما وصلنا إلى مدينة الجزائر تم تجميعنا في أحد المنازل

الجاهزة التي خصصتها لنا الحكومة لمدة 5أيام، ثم تم نقلنا إلى المستوطنة التي تقرر العيش فيها عبر عربات خشبية تجرها البغال، وكانت مدة السفر قد استغرقت 3 أيام، وتمثل مبيتنا في المناطق التي توقفنا فيها إسطبلات الخيول وكانت أّسّرتنا أكوام التبن، ولما وصلنا إلى المنزل المخصص لنا لم نجد أدنى ضروريات الحياة البسيطة... ولم تتحسن الظروف إلا بعد مضي عدة أيام ليتم تزويدنا بأدوات الزراعة والمتمثلة في محراث وثور وقليل من بذور القمح،لنبدأ في نشاطنا الجديد الذي فرض علينا، ولم نريده يوما..."[5].

وجد الوافدون الجدد ظروفا لم يألفوها في أوروبا فرفضوا العيش في أكواخ الجزائريين والعمل في الأعمال الزراعية الصعبة تحت لسع أشعة الشمس،ولم تغرهم النداءات الرنانة لأنصار الفكرة الاستعمارية من القادة السياسيين والعسكريين في القبول بالوضع الراهن، كل تلك الظروف المناوئة لنشاط الاستيطان أدت إلى ازدياد الاحتقان والسخط العام في أوساطهم، رغم أن تريميلي- وهو أحد مشجعي الاستيطان في الحكومة الملكية- ظل يردد كلاماته الشهيرة لطمأنة المستوطنين "سيصبح لدى المستوطنين الفلاحين أذرع من فولاذ وحديد ووجوه ذهبية "للدلالة على قدرتهم على التأقلم مع الطبيعة الجديدة[6].

غير أن الوسائل والتسهيلات التي استخدمها الجيش والحكومات المتعاقبة في استقطاب أعدادا كبيرة من المهاجرين لم تفلح بسبب القلق من المجهول، الذي انتاب فئات كثيرة كانت ترغب في الهجرة، وظلت الأرقام بعيدة عن سقف الطموحات المحددة، وقد أجمع العديد من الساسة العارفين بالشأن في المستعمرة على أن الأوضاع لا تلبي طموحات الكثير من راغبي الكسب المادي والرفاهية، فقد أرجع كليمو دي فارنوا (Clément Du vernois)، وهو أحد رجال الدولة في حكومة نابليون الثالث -ذلك الفشل إلى سياسات الإدارة الاستعمارية بالجزائر، والتي وصفها بالبيروقراطية العسكرية والإقطاعية العاجزة في وضع إستراتجية تسهل تأقلم المستوطن بالأرض وتساهم في هجرة الأوروبيين المترددين، تقف حاجزا في عودة الكثير إلى بلدانهم[7].

ومن حسن حظ المستوطنين، فإن ذلك لم يستمر ذلك طويلا، إذ عمل قادة الجيش بعد استخلاصه للدروس من التجارب الفاشلة خلال الشهور الأولى للاحتلال على توطين هؤلاء الوافدين الجدد في مراكز استيطانية جديدة، أقل ما يقال عنها أنها كانت أقرب إلى المخيمات منها إلى التجمعات السكنية المنظمة، وقد بنيت بالقرب من مخيمات والقواعد العسكرية للجيش الفرنسي لتوفر الأمن فيها وطلبا للحماية من الغارات القبلية المعادية، وبالرغم من ذلك التحسن الطفيف، كان الواقع مؤلما وصورة الجنة الضائعة أو الإلدورادو الموعود أصبحت مع مضي الوقت تتلاشى في خيال المستوطنين، فأمام وطأة الظروف المناخية قرر الكثير المغادرة أما الذين آثروا البقاء، فكان المال والمساعدات الحكومية الكبيرة السبب الرئيسي في تمسكهم بالأرض.وبالمقابل كان إصرار المعمر على تحقيق الحلم الذي خاطر من أجله يتحول إلى حقيقة بفضل الإمكانات الكبيرة التي وفرتها له السلطة المحتلة[8].

ولكن بالرغم من إخفاق سياسة الهجرة في بداياتها بسبب قلة التجربة والتحضير السيء لنقل الآلاف من المهاجرين دفعة واحدة دون احتساب قدرة الإدارة المحتلة على إيوائهم ، وبسبب عدم تأقلم الأوروبيين بالأرض الإفريقية الصعبة، إلا أن قيادة الجيش والحكومات المتعاقبة استدركت الأمر لاحقا، وصححت الأخطاء الفادحة المرتكبة خلال السنوات الأولى للاحتلال،وتجاوزت العقبات المثبِّطة لحركة الهجرة، كتحسين ظروف الإقامة، وتوفير الأمن للمستوطنات الناشئة، والتكفل المالي التام بالمستوطنين الجدد، وتوفير لهم معدات العمل واستصلاح الأراضي إلى غيرها من الأمور الأخرى، التي تعمل على ضمان العيش الكريم للمستوطن.

**2- مميزات الهجرة الاستيطانية الأوروبية:** تميزت الهجرة الأوروبية نحو الجزائر بعدة خصائص تميزها عن باقي الهجرات الأخرى لمناطق أخرى من العالم، وأهمها: تنوع أصول المهاجرين وتعدد أعراقهم (فرنسيون، مالطيون، أسبان، إيطاليون، بدرجة أكبر، وإنجليز وألمان وأيرلنديون بنسب قليلة) وتباين فترات هجرتهم، وتأرجحها بين الارتفاع والانخفاض من جهة،

وبكونها تأخذ أحيانا شكل الهجرات الفردية وأحيانا الطابع الجماعي إلى حد النزوح الكبير من جهة ثانية، وكل ذلك كان مرتبطا بعدة عوامل أهمها:

1- السياسات العامة للجيش وللحكومات المتعاقبة، وأنظمة الحكم ونظرتها الإستراتيجية لظاهرة الاستيطان وسنرى لاحقا كيف كانت سياسات الجيش تشجع الهجرة بكل أشكالها، وتعمل على تشجيعها، في حين كانت الإمبراطورية الثانية (1852-1870) في عهد نابوليون الثالث تتخذ موقفا محافظا اتجاه الهجرة الجماعية وتشجع الهجرة الانتقائية ذات الطابع الرأسمالي الاستغلالي، وكانت الجمهورية الثالثة (1871-1940) تميل في أغلب الأحيان إلى الهجرة الانتقائية والعنصرية، أي العمل على تشجيع فقط هجرة الفرنسيين لتحقيق تفوق عددي لصالح العنصر الفرنسي وكبح النمو الكبير للمستوطنين الأسبان آنذاك .

2- الظروف الاقتصادية والسياسية، التي تمر بها البلدان الأوروبية المصدرة للمهاجرين، ومدى الاستقرار السياسي والانتعاش الاقتصادي الذي تعيش فيه البلدان التي هاجر منها الأوروبيون، فمثلا ارتبطت هجرة الأسبان والماهونيين بالظروف المناخية وتردي إنتاج المحاصيل الزراعية خلال الثلاثينات والأربعينات من القرن التاسع عشر، كما ارتبطت هجرات سكان الألزاس واللورين خلال النزوحين الكبيرين (1845-1860)، و(1871-1872) بالأزمات الاقتصادية خلال النزوح الأول، والثاني بالتهجير القسري بعد سيطرة بروسيا على الإقليم إثر الحرب البروسية والفرنسية لعام 1870.

3- الظروف السياسية والأمنية التي مرت بها الجزائر المستعمرة، ففي فترات السلم والهدوء النسبي ازدادت هجرات الأوروبيين عكس الفترات التي اندلعت فيها الثورات، خصوصا في المناطق الساحلية والشمالية.

**ثالثا: ازدياد النشاط الاستيطاني في الجزائر بازدياد وتيرة الهجرة الأوروبية نحو الجزائر**

وهذا ما نلاحظه من خلال الرسم الآتي، الذي يقدم لنا مقارنة بين تطور الهجرة الأوروبية نحو الجزائر وتطور المستوطنين مابين 1836-1866، والتي

تمثل أوج حركة الهجرة والاستيطان. الوحدة: ألف نسمة.

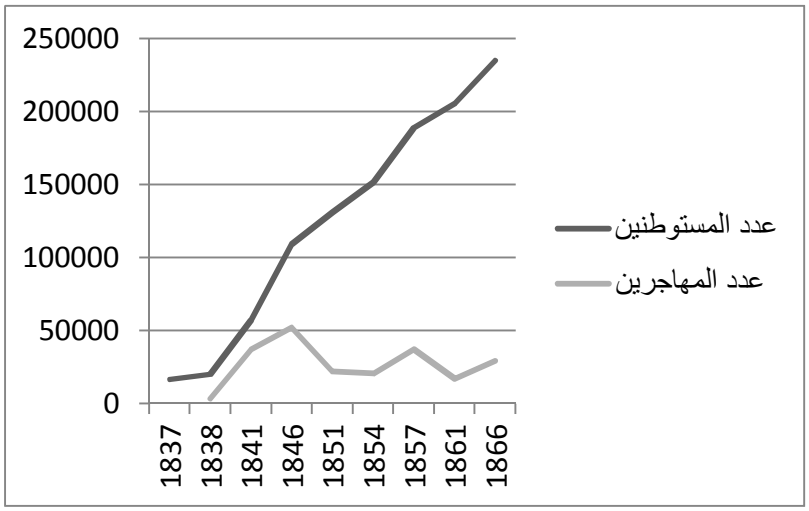


من خلال متابعتنا لصيرورة الاستيطان ومسار الهجرة الأوروبية نحو الجزائر خلال - الأربعين سنة الأولى من الاحتلال - في ظل حكم العسكريين- حسب معطيات الرسم، فإن ذلك يقودنا إلى استنتاج وفهم ثلاث مؤثرات هامة تحكمت في ذلك التطور، وهي:

**أولا**: الارتفاع المتواصل لوتيرة الاستيطان، التي يقابلها تذبذب في زيادات هجرات الأوروبيين نحو الجزائر ما بين السنوات، وهو ما يفسر أولا الارتفاع المتواصل المستوطنين الجزائر المرتبط بعاملين أساسيين، وهما:عامل الهجرة، وعامل الزيادة الديمغرافية، أي ارتفاع نسبة الولادات مع الانخفاض في نسبة الوفيات.أما التذبذب في أعداد المهاجرين من سنة إلى أخرى فتفسره، عوامل عدة أهمها:مدى استتباب الأمن في الجزائر من عدمه، واختلاف السياسات الاستيطانية من فترة إلى أخرى، فالحماس الذي أبداه الماريشال بيجو ليس بنفس الحماس ولا تلك السياسة الاستيطانية التي كانت خلال الحكم الإمبراطوري

**ثانيا**: كان أكبر تدفق للمهاجرين الأوروبيين خلال الأربعينات وبداية الخمسينات، وهي بذلك سنوات تمثل ذروة الهجرة والاستيطان الأوروبي في الجزائر، حيث كان أكبر نزوح على الجزائر هو الذي سجّل عامي 1838 -

1848، وذلك يرجع أساسا إلى استتباب الأمن خصوصا في المناطق الوسطى والشرقية بإخماد الثورات الشعبية (أحمد باي بالشرق، وثورات متيجة في الوسط)، وإلى سياسات بيجو والجمهورية الثانية الشديدة الحماس للهجرة والاستيطان.

وعموما فقد حققت عمليات توطين الأوروبيين نتائج باهرة ،بالرغم منكل العراقيل التي واجهت الاستيطان خلال عقوده الأولى فقد بلغ التعداد العام للسكان الأوروبيين سنتي (1851-1852)، 132.982 مستوطن، منهم 85.678 مستوطن استقروا في المدن والمراكز الحضرية، و33.810 مستوطن كانوا يعيشون في المناطق الريفية، وفي عام1857ارتفع عدد المهاجرين الأوروبيين بنسبة 44% خلال ست سنوات فقط، أي مابين (1851-1857) حيث بلغ عددهم 38 ألف مهاجر جديد،مما أدى إلى ارتفاع المجموع السكاني العام لمستوطنين إلى 189.000 مستوطن خلال سنة 1857، يعيش حوالي 170.000 منهم في المناطق الواقعة تحت الحكم المدني و19.000 في المناطق الخاضعة للحكم العسكري[9].

**ثانيا- الماريشال كلوزيلوسياسة الاستيطان الرسمي**

**1- تعيين الجنرال كلوزيل والنقاشات الحادة حول مستقبل المستعمرة:**

سقطت الجزائر وابتهجت المملكة الفرنسية بالنصر، وبين نشوة النصر وانتشار الفوضى، كان التساؤل العام الذي دار في أروقة البرلمان الفرنسي، وفي أذهان الساسة: ما مصير الجزائر، وما مستقبل الوجود الفرنسي فيها؟، وهل سيتم الاحتفاظ بالمناطق المحتلة دون التوغل نحو المناطق الداخلية أم أن الأمر يستحق التضحية والمجازفة باستكمال الاحتلال لكل الجزائر؟.

وفي الواقع فقد كانت نية حكومة الملك هي فكرة مواصلة الاحتلال نحو الداخل، غير أن الرأي السياسي الفرنسي ظل مرتبكا، ولم تكن هناك سياسة واضحة المعالم اتجاه الجزائر، وبلغ الانقسام أوّجه بين مؤيدي الاحتفاظ بالمناطق المحتلة وبين الرافضين لبقاء فرنسا في الجزائر من جهة، وأنصار الاحتلال الكامل وأنصار الاحتلال الضيّق من جهة ثانية، ولم يقتصر الانقسام

السياسي في أعلى هرم السلطة بل امتدت تأثيراته إلى قادة الجيش الفرنسي أنفسهم [10].

لم يكن النقاش الساخن حول مسألة الاحتلال الضيق في المناطق الساحلية أو توسيعه في الداخل فحسب، بل توسعت جلسات النقاش والاختلاف حول مسألة نوع الاستيطان الواجب تطبيقه في الجزائر، بين أنصار الاستيطان القديم ،الذي يقوم على إنشاء مستوطنات على الطريقة الإغريقية القديمة، أو حسب النموذج الروماني، وبين أنصار الاستيطان الحديث، كالاستيطان الإنجليزي في أمريكا، أو الذي طبقته روسيا في المناطق التي استعمرتها، غير أن الأمر الذي وجد إجماع رجال السياسة والجيش، هو الاتفاق وجوب تسريع الاستيطان ،بأقل التكاليف أو خسارة في الوقت والمال والدم، وعن نوع الاستيطان التي يلاءم فرنسا ،وليس الاستيطان الذي يلاءم الجزائر[11].

ولما كان الأهم لفرنسا هو تفعيل الاستيطان في المناطق المحتلة ،ريثما يتم البت في توسيع الاحتلال نحو الداخل من عدمه،أوفدت فرنسا لحكم الجزائر أشد المتحمسين للاستيطان،وهو الماريشال كلوزيل ، الذي عمل بعد وصوله إلى الجزائر على تنظيم الجيش،وبث فيه روح الصمود والمقاومة لمواجهة القبائل الأهلية الثائرة،ومنحه الضوء الأخضر للتصرف بكل حرية في الممتلكات الأهلية وأطلق يده للتوسع في ضواحي مدينة الجزائر، كما عمل على وضع اللبنات الأولى للاستيطان العسكري، ولم يكتف بذلك فحسب، بل راسل وزارة الحربية بتاريخ 29 سبتمبر 1830 للأخذ برأيها حول مسألة التوسع والاستيطان في الداخل، طالبا منها تحويل مدينة الجزائر إلى مستوطنة صغيرة للفرنسيين وللأوروبيين الذين رافقوا الحملة، أو الذين التحقوا بعدها[12]، ولم يطل الرد كثيرا، فقد استجاب وزير الحربية الفرنسية، آنذاك "جيرار"« Gérard» لطلب كلوزيل، حيث أرسل له في يوم 30أكتوبر 1830رسالة يطلعه فيها بأن حكومة الملك قد استجابت لطلبه، وبأنها مستعدة على إقامة مستوطنة كبيرة في مدينة الجزائر،وتمنحه الضوء للإسراع في عملية توطين الأوروبيين[13].

**2- قرار اللجنة الإفريقية وسياسة الاستيطان الرسمي عند كلوزيل:**

يمكن أن نحدد سياسة الاستيطان عند كلوزيل في مبدأ واحد، وهو تجميع المستوطنين الأوروبيين في مراكز استيطانية محدودة في المناطق المحتلة ،يكون فيها المستوطن فلاحا وحرفيا يستغل خبرته التي كسبها في حقول أوروبا لترويض الأرض الإفريقية القاسية، واستثمار خيراتها، ويكون فيها الجندي الفرنسي حاميا للمستوطنة، ورادعا للقبائل المتمردة، وضامنا لأمن الأوروبي وعائلته الصغيرة، وتكون فيها سلطة الاحتلال جهازا يشرع القوانين، ويضبط الحياة العامة في المستعمرة ويديرها.

وفي سبيل ذلك كله،طلب الماريشال كلوزيل خلال فترة حكمه الأولى للجزائر (1830-1831) من الحكومة الفرنسية إرسال لجنة تتكون من مشرعين وقانونيين فرنسيين لوضع منظومة قانونية تسير المستعمرة وتديرها شؤونها[14]،وللسيطرة على القبائل الثائرة،أسس فرقة "الزواف"، وهي ميليشيات أهلية متعاونة مع جيش الاحتلال لضبط الأمن والقضاء على الثورات الأهلية المتواصلة،كما عمل على إعادة الثقة المهتزة للجيش الفرنسي.وفي مجال إدارة الشؤون العامة للمستوطنين الأوروبيين وتسهيل أمورهم الخاصة،أعطى كلوزيل التعليمات الأولية للجنة الحكومة بمباشرة مهامها، والتي تكونت من وزير للداخلية،ووزيرا للعدل، ووزيرا للشؤون المالية.

إلى جانب ذلك عمل على تأسيس المحاكم ودور القضاء،ومصالح للضرائب والمقار الإدارية،ومؤسسة للجمارك، وفيما يخص مجال التعمير،فقد أعاد كلوزيل هيكلة البنية التحتية لمدينة الجزائر ولبقية المدن الكبرى الأخرى التي استوطن فيها المهاجرون الأوروبيون، أما الضيعات والقرى الاستيطانية الجديدة فقد أمر كلوزيل قادة الجيش وفرق الهندسة التابعة له بتنظيمها وتوفير البنية التحتية لها،من قنوات الصرف الصحي، مخازن للمياه، وطرق... وغيرها[15].

وبما أن الاستيطان كان مرتبطا بالمال والاقتصاد،فقد أسس كلوزيل المؤسسات الزراعية الكبرى و المؤسسات الصناعية الصغيرة لتحسين ظروف العمال الأوروبيين وتعمل على تغيير نمط الإنتاج، وتساهم في استصلاح

الأراضي البور وزراعتها بالمحاصيل النقدية الجديدة والمربحة[16]،ولما كان إدماج هذه الأقلية الجديدة في الوسط الأهلي عاملا مهما في تكيّف المستوطنين وتعودهم على الحياة الجديدة في الأرض الإفريقية،أنشأ المدارس العمومية لكل من أبناء المعمرين والأهالي، وأنشأ مؤسسة للطباعة بالعربية والفرنسية، وفي عهده ظهرت أول صحيفة كولونيالية وهي المرشد الجزائري وغيرها من المنشآت الأخرى[17].

كل تلك الأعمال التي أمر الماريشال كلوزيل بإنشائها في مدينة الجزائر، وفي المدن التي خضعت في السنتين الأولى للاحتلال (1830-1831) كانت قبل أن تعلن اللجنة الإفريقية تقريرها،ولم تبث الحكومة الملكية في قراراها بعد.فلماذا كل هذه الإجراءات لتثبيت الاستيطان، وما فائدة كل هذه الإنجازات مادام الأمر قد ينتهي بوقف الاحتلال أو حصره في نطاق ضيق،فهل غامر كلوزيل ،أم أن النية في الاستيطان الدائم كانت فكرة تساور الجميع؟.

نجد الإجابة في المراسلات التي تمت بين الماريشال كلوزيل ووزير الحربية الفرنسية، فقد طرح الماريشال كلوزيل ثلاثة أسئلة تمس مستقبل الاستيطان في الجزائر، وهي: هل سيتم حصر الاحتلال في عدة مراكز في ساحل مدينة الجزائر فقط؟هل في نية حكومة الملك توسيع الاستيطان ليشمل كل الجزائر؟ أم هناك خطط للتخلي عن الجزائر والانسحاب منها [18]؟. رد جيرار بكل ثقة: "إن حكومة المملكة الفرنسية حرة في توسيع غزوها لكامل البلاد،حين تعتقد بأن الاحتلال مفيد ويجلب الفائدة للدولة الفرنسية،وهي بصدد تثبيت وجود فرنسا في إفريقيا"[19].

من خلال هذه الإجابة المقتضبة ندرك بأن فرنسا كانت مقتنعة بإبقاء الاحتلال في مدينة الجزائر،غير أنها بدت أقل تحمسا في توسيعه نحو الداخل، ولذا كانت تؤيد جلب المهاجرين وتوطينهم في مدينة الجزائر وحوزها، وجعلت الاستيطان مقرونا بمدى تقدم الاحتلال نحو الداخل، بما يضمن الأمن للمستوطنين، وكل ذلك يتم بالتوازي مع تحقيقات اللجنة التي أمر بها الملك بتقصي الحقائق، ومن خلال نتائجها تضع الحكومة الإستراتيجية الكاملة في تنفيذ الاحتلال في باقي المناطق.

لم يمهل خصوم الاحتلال الشامل كلوزيل لإتمام مشروعه،بل ضغطوا لوقف توغل الجيش في عمق الأراضي الجزائرية، على اعتبار أنها أراضي مجهولة،والتوغل فيها مغامرة غير مسحوبة العواقب وستورط الجيش في حرب تبقى معالمها قاتمة ونتائجها قد تكون غير مبشرة، ولذلك فقد أخذت قضية الجزائر منذ نوفمبر 1830 حيزا كبيرا من النقاشات الساخنة داخل البرلمان الفرنسي، وانقسمت آراء الساسة إلى ثلاثة تيارات متباينة :تيار الاستعماريين الذي يصر على الاحتفاظ بالمستعمرة واستمرار التواجد الفرنسي فيها، والتيار المعادي للاستعمار، الذي يرى فيه مغامرة مكلفة جدا، وتيار ثالث يعتبر احتلال الجزائر خطأ يمكن أن يصحح بعدم التخلي عنها، وتقوم فلسفة هذا الاتجاه الثالث،على ضرورة انتشار الثورة الفرنسية والمبادئ الاشتراكية العمالية في المستعمرة،مما سيساعد على ازدهار الصناعة الفرنسية فيها،مثلما عبر عنه "لوي بلان"[20]، أما التيار المؤيد للاحتلال الاستيطاني فهو الآخر رغم وحدة هدفه، فقد هو الآخر انقسم إلى اتجاهات: المعمرون أصحاب "القفازات الصفراء[21]"والأرستقراطيين المدعيو الشرعية المعارضون لملكية شهر جويلية، ورأي "الجندي الفلاح لبيجو (Bugeaud) أو رأي كلوزيل (Clauzel) الذي يريد أن يجعل من الجزائر مركزا لتجميع "البؤساء والمضايقين"،فاقترح جعل متيجة "مستودع لمتسولي أوروبا" محميا من السكان الأهالي الجزائريين بجدار[22].

من بين الليبراليين المناهضين لفكرة الاحتلال والمؤيدين لانسحاب الجيش،نجد رجل الاقتصاد،السيد النائب "أيبوليت دوباسي" Hyppolite de passy، الذي عبر في تدخله خلال المناقشات البرلمانية العاصفة حول مصير الجزائر بمناسبة مناقشة الاعتمادات المالية التكميلية لميزانية 1833 واستجواب الماريشال" **كلوزيل** " في الجلسات البرلمانية المنعقدة خلال فترة (مارس – جوان 1833) عن الحجج التقليدية لليبراليين في معارضتهم للحركة الاستعمارية، في حين أكّد النائب " كسافي دو صاد" Xavier de sade في تدخله الذي جرى يوم 03 أبريل 1833م بما يلي: "إن النفقات على المستعمرات تكلف الخزينة 40 مليون فرنك في حين أنها لا تقدم من خدمة سوى إصابة

التجارة بالشل "، ورغم ذلك فقد تغلب أنصار الاستعمار إذ كانوا أكثر إصرارا، بقيادة النائب "روشفوكو" Rochefoucauld [23].

وخلال استجوابه عن رأيه حول مستقبل المستعمرة،رد كلوزيل على خصوم الاحتلال الشامل،وفي مقدمتهم أشد معارضيه، النائبين "برتيزان" و "كسافيي دو صاد"، وكانت كلماته مليئة بالحماسة لفكرة الاستيطان، وحملت قسطا كبيرا من الإقناع، وعملت حججه البراغماتية على تهدئة النقاشات وطمأنة للتيار الاستعماري الاستيطاني، حيث جاء فيها: "إن فرنسا اليوم مدعوة بقوة في إعطاء المثل الأعلى لأهمية الاستيطان وفائدته للشعوب المستعمرة والمستعمرة (كسر الميم)، بالرغم من تكلفته الكبيرة على الميتروبول"[24]، واختتم مداخلته بقوله:"دائما تكون مؤسسات ما وراء البحار مكلفة لفرنسا..، غير أن الفائدة من الاستيطان سوف تعود على فرنسا في وقت قصير، فجلب الآلاف من المستوطنين لزراعة القطن والقنب وأشجار النيلة، في أرض خصبة وشاسعة، سيكون مصدر ثراء ورخاء للميتروبول،.. فقد أثبتت التجارب بأنه يمكن إنتاج قطن مماثل للقطن الذي ينتج في كارولاينا الجنوبية،وجورجيا بالولايات المتحدة،وهو ما يشكل دافعا لازدهار الاستيطان"[25].

وفي تقريره حول الاستيطان،الذي رفعه للحكومة الملكية دافع كلوزيل بقوة عن الاستيطان، ومنتقدا في الوقت نفسه معارضيه، حيث قال: "أنا الذي اقترحت في أكتوبر 1830 على الحكومة الفرنسية استيطان مدينة الجزائر،وقد رافعت بكل الحجج والأدلة التي تدحض شكوك النواب في الغرفتين، وبكل عزم فإننا قادرون على تجاوز العراقيل التي تقف أمام تطبيق هذا المشروع الكبير"[26].

لم تكن فلسفة كلوزيل الاستيطانية ترتكز على الأبعاد الاقتصادية والسياسية فحسب، بل امتدت لتمس الجانب الاجتماعي، فقد كان كلوزيل سبّاقا في طرح فكرة الاندماج الاجتماعي والانصهار العرقي بين الأجناس في الجزائر، وفي اعتقاده فإنه لا تقوم للاستيطان قائمة في الجزائر، إلا بالتواصل الاجتماعي بين الأهالي والمستوطنون عبر وسائل الربط الاجتماعي،كالزواج المختلط والعيش المشترك،وفي هذا نجده يكتب: "إن تجاور الأوروبيين بالعرب

سينسج علاقات قوية بين العرقين على المنظور البعيد، وستعقد تحالفات متينة بين العائلات من الجانبين، فإذا تزوجت ابنة البدوي المستوطن أو الجندي سيكون ذلك عاملا قويا في تقارب العرقين المختلفين، وذلك لأن هذا الشعب "غير المتحضر"يملك عاطفة قوية نحو أبناءه، وهو ما سيخلق عواطف قوية نحو أمتنا"[27].

كان على فرنسا إنهاء الجدل،والفصل في مصير المستعمرة،بإرسال لجنة تحقيق تكونت من شخصيات بارزة، أهمها الكونت "دي بوني" Le général comte de bonet، الذي برز خلال الحملة الفرنسية على اسبانيا، ومعه أربعة من النواب وماريشال،وقائد السفينة،تتلخص أهدافها لجنة التحقيق في:

1- تحضير الحلول لمختلف المشكلات المرتبطة باحتلال الجزائر، ومتابعة الأوضاع السائدة في البلاد، وتقييم المرحلة، واقتراح النظام الذي يجب إتّباعه في حالة تقرر الاحتفاظ بالجزائر .

2- تحديد طبيعة العلاقة التي ستربط إدارة الاحتلال بالعناصر المحلية، العرب، الموريسكيين، القبائل من جهة،وبالمستوطنين الجدد من ناحية ثانية، وكذلك اقتراحات الإجراءات التي يجب القيام بها من أجل ضمان تطور المجموعتين، الأوروبية والأهلية .

3- تقديم توصيات حول الأشكال المختلفة المسهلة للاستيطان، وتنظيم المصالح العامة لإدارة البلاد كالنظام الضريبي والتجاري في المناطق المدنية والعسكرية، وتحديد صلاحيات السلطات لكل منها[28].

أنجزت اللجنة مهمتها خلال الفترة الممتدة مابين 02 سبتمبر و19 نوفمبر 1833 بعد زيارة مناطق في مدينة الجزائر ومتيجة والبليدة، كما قام بعض أفرادها بزيارات لوهران وآرزيو وبجاية، أتمت عملها في شكل مذكرة عسكرية، احتوت على عشرة تقارير حول البحرية والاحتلال والقطاع العام والاستيطان والأوقاف...، كما رسمت اللجنة لوحة قاتمة عن الأوضاع السائدة في الجزائر، فالأهالي يائسون ومحطمون نتيجة الاضطهاد والتقتيل والنهب، أما المستوطنون الأوروبيون فقد انتباههم الشعور بالضياع وتم خداعهم بوهم الموارد الضخمة التي تزخر بها أرض الميعاد – وإذا كانت النتائج في مجال

الاستيطان هزيلة،رغم النفقات المبذولة في هذا المجال، فذلك لا يرجع فقط في الاختيار السيئ للمستوطنين، ولكن يعود أيضا للاختيار السيئ لمراكز الاستيطان[29].

رغم التقييم السلبي للاحتلال الفرنسي، فقد توصلت اللجنة إلى توصيات حاسمة، أبرزها:

1- الاحتفاظ بالجزائر كمستعمرة فرنسية.

2- جعل الجزائر مستوطنة للعمال الأحرار سواء أكانوا فرنسيين أم أجانب،وليس مستعمرة عسكرية أو "مستعمرة إصلاحية" Colonie Pénitentiaire، وجعل الاستيطان كوسيلة وحيدة لنجاح الاحتلال، وفتح أبواب الهجرة للأجانب الأوروبيين، والعنصر الألماني بصفة خاصة، وعدم اقتصارها على الفرنسيين، مع التحفظ على هجرة الماهونيين والمالطيين والقليل من استقطابهم[30].

على ضوء هذه التوصيات، أصدر الملك لوي فيليب مرسوما ملكيا يوم 22 جويلية 1834[31]، يقضي بضم الجزائر إلى الممتلكات الفرنسية،وذلك بعد أن استمع لإفادات مقربيه وشخصيات ذات صلة بالاحتلال كالماريشال "دامريمون"[32]، والناطق الرسمي باسم المستوطنين السيد "موريس"، و"حمدان بن عثمان خوجة"... وغيرهم[33]، وبذلك توحدت كل الأصوات المتباينة من الديمقراطيين والتقدميين ومناصرو القيم الإنسانية لتبرير فكرة الاستعمار، وإعادة قولبتها بقالب قانوني وشرعي حتى تتأصل فكرة الاستعمار وتتحول إلى مشروع وطني وحضاري، واتحدت كل الآراء السياسية والدينية ودعوات أنصار الاقتصاد الرأسمالي الاستعماري على ضرورة الاستمرار في إلحاق الجزائر بفرنسا وتعميرها وخلق عرق جديد وذكي يستوطن إفريقيا، وينشر فيها أنوار الحضارة الغربية، ومع مضي الوقت أصبح تعمير الجزائر أمرا لا مفر منه وضرورة فرضتها الظروف والمصلحة العليا للدولة، وتحوّل الاستيطان إلى مشروع التف حوله الجميع.

لكن وبالرغم من الاحتفاظ بالجزائر كمستعمرة، واستمرار مشروع الاستيطان، إلا حكومة الملك لويس فيليب، آثرت التضحية بالجنرال كلوزيل

وعزله عن الحكم وتعيين "بيار برتيزان "لحكم الجزائر بدله .وبالتالي يتوقف الاستيطان الرسمي الذي ترعاه الدولة الاستعمارية،ولو لفترة محدودة.

**3- جنرالات فاشلون واستيطان متوقف وعودة الجنرال كلوزيل:** بعد رحيل كلوزيل المؤقت،لم يكن خلفاؤه الذين حكموا الجزائر من "بيار برتيزان"(1831-1832)، إلى "الدوق دوروفيقو" (1832-1833) و"تيوفيل فوارول"(1833-1834)، انتهاءا بالكونت "دورليان" (1834-1835)، يملكون حماسة كبيرة للاستيطان مثل التي كانت لدى كلوزيل ، فقد كانت شهيتهم للقتل أكبر، وانشغالهم بوأد الانتفاضات التي شهدتها متيجة بقيادة ابن زعمون، والغرب بقيادة الأمير عبد القادر أكثر ضرورة، باعتبارها مصدر قلق للجيش، وعائق للاستيطان، ففي تصريح للحاكم العام للجنرال "بارتيزان" Berthezéne ما يعبر عن حالة الهلع من المغامرة في توسيع الاستيطان نحو الداخل،حيث جاء فيه"... إن متيجة هي مستنقع واسع، ومقبرة لكل من يفكر في استغلالها، ولا يمكن وضع حجر الزاوية لأي مؤسسة خارج إقليم الساحل.."[34].

وبالفعل فقد كانت المتيجة عبارة عن بالوعة كبيرة، و قبرا لكل من يتجرأ على استغلالها، فمنذ الأيام الأولى التي قدم فيها المهاجرون الفرنسيون والأوروبيون للإقامة بالمدن التي احتلها الجنود الفرنسيون وخاصة بنواحي الجزائر بالساحل، وحتى مشارف متيجة وجدوا ظروفا قاسية جدا، ولولا مساعدة الجيش من خلال إقامة مراكز الحراسة الفرنسية لحمايتهم، لما تمكنوا من تهيئة الأراضي بالريف الجزائري،وإقامة المزارع بها واستصلاح الأرض التي اجتاحتها الأشواك وأشجار النخيل الصغيرة، كما أن عمليات تزودهم بالمئونة والتواصل فيما بين مراكزهم لم تكن سهلة، فقد كانت تتم بواسطة البغال عبر دروب ضيقة خطيرة، شكلت موقعا استراتيجيا سهّل على الثوار عمليات الهجوم على قوافل الجيش والمدنين،وحتى المعمرين الجسورين في معسكرات "آرلون" في 'بوفاريك' وغيرها لم يترددوا في الابتعاد عن معسكرات الجيش وكان المعمرون يحرثون الأرض حاملين بنادقهم، وبالليل يحرسون أكواخهم بالتناوب [35].

كانت السنوات الأولى للاحتلال تمر ثقيلة جدا، وكان مستقبل فرنسا بالجزائر في مفترق طرق، ومرهون بمدى قوة الجيش الفرنسي وصبر المستوطنين على تحمّل الظروف الصعبة، وبقيمة كرم الحكومة الملكية في دعم الاستيطان بالأرض والمال، مثلما كانت تدعم الجيش بالأسلحة والعتاد، غير أن ذلك الدعم المالي كاد أن يتوقف في مرات عديدة،مما تسبب في توتر مستمر بين المستوطنين والحكومة الفرنسية، والتي اتهمها المستوطنون أكثر من مرة بالتخاذل وبرميهم في المجهول، وهذه إحدى رسائل الاحتجاج التي بعث بها رئيس المجموعة الكولونيالية بالجزائر يوم 14 ماي 1836 إلى الماريشال كلوزيل، وأهم ما جاء فيها: "يؤسفني أن أطلع سيادتكم بالأنباء التي وصلت لأسماع المجموعة الكولونيالية حول نية البرلمان تخفيض الميزانية الخاصة الموجهة لنا،كيف يمكن للاستيطان أن يستمر بهذا الشكل؟.

لقد أراد عدد من أرباب المال وأصحاب شركات التوجه والعمل في الجزائر،وتقدموا بطلبات للحصول على أراضي للاستثمار، أهمهم فيليب أوفور Philippe ouffour، وهو أحد المالكين في أستافور Astaffort، ديبري بالاندDupré Ballande تاجر من بوردو، مونصير Moncer من أفينيون Avignon والذي أراد شراء 1500 هكتار من الأراضي في متيجة، لقد عبّر هؤلاء وغيرهم عن قلقهم حول ما سيصوت عليه البرلمان"[36].

غير أن هذا القلق الذي اعترى الكثير من المستوطنين،ولا سيّما في بدايات الاستيطان،سرعان ما تبدد،بقدوم أصحاب القفازات الصفراء إلى الجزائر، وعلى رأسهم البارون "أوغيستين دو فيالار" وصديقه "دوتوناك"، اللذان قدمّ خدمة كبيرة الاستيطان،حيث لعب دوفيالار دور السيد الصغير، فمنذ أن وطأت قدماه أرض الجزائر، واستقراره ببوفاريك عام 1830، قام بشراء مزرعة ذات مساحة تقدر 180 هكتار في القبة، واشترى مع توناك ضيعتين،الأولى مساحتها 80 هكتار والثانية تتسع 300 هكتار في الحوش الخضرا،كما ساهم في تأسيس قرية "سانت جول" عام 1843 بعد أن قدمت الدولة الاستعمارية دعما ماليا قيمته 1000 فرنك لعشرين عائلة قدمت طلب الهجرة والاستقرار في فيها[37].

عاد كلوزيل خلال فترة حكمه الثانية (1835-1837) ليعطي دفعا جديدا الاستيطان الريفي في الجزائر، حيث عمل سنة 1836 على تأسيس لأول قرية بالقرب من معسكر بوفاريك تضم 173 قطعة فلاحية، مساحة كل منها 4 هكتارات منحت بالمجان للأوروبيين، وفي أقل من سنة بلغ عدد المستفيدين بالمجان للأراضي Gratuites concessionnaires في مستوطنة بوفاريك لوحدها 76 أوروبيا،يسطر كل واحد منهم على 110 هكتار من الأراضي الخصبة[38]، وقد سماها "المزرعة التجريبية في إفريقيا"، وسمح للجنود بالاكتتاب فيها، كما خلال هذه الفترة بالاستيلاء على المناطق القريبة من بابا علي،وضم إليها مزرعة حوش حسن باشا،القريبة من واد حراش،التي بلغت مساحتها 1000 هكتار. وبذلك جردت من الأهالي أجود أراضيهم وأرغمت عدد من قبائل متيجة على الرحيل عنها،وأهمها قبيلة حجوط الساكنة بمتيجة الغربية[39]، وبالرغم من المساعدات التي قدمها كلوزيل للمستوطنين من وسائل،تشجيعا لهم على الاستقرار بأراضيهم واستغلالها،إلا أن هذه السياسة لم تحقق نجاحا كبيرا، بسبب شراسة المقاومة من جهة، ولعدم تأقلم هؤلاء المستوطنين مع الظروف المناخية للمنطقة من جهة أخرى.

**ثالثا: تعيين الماريشال فالي مكان كلوزيل وفكرة الاستيطان الحر**

نتيجة لهذه التجربة الفاشلة للاستيطان الرسمي تحوّلت أنظار الإدارة الاستعمارية إلى أصحاب الإمكانات المادية،وتشجيع الاستيطان الحر بعد تنصيب الماريشال فالي كحاكم عام مكان كلوزيل، وذلك يوم 01 ديسمبر 1837، والذي صدم بعد مباشرة أعماله بالنتائج الهزيلة للاستيطان نتيجة الفوضى السائدة وغياب إستراتجية محكمة في هذا المجال، ولهذا فبعد توليه السلطة انتفض ضد هذه السياسة ووصل إلى حد منع بيع الأراضي في عمالة قسنطينة بشكل مطلق، وفعل الأمر نفسه في عمالة الجزائر، وحينما استأنفت الحرب مع الأمير عبد القادر، حذر المستوطنين في السهل من المغامرة في الداخل، وفي مقابل ذلك انشغل بتنظيم حركة الاستيطان، وحدد النقاط التي يجب إنشاء المستوطنات فيها، وفرض بعض شروط التمليك الفردي، والمصالح المشتركة معلنا بذلك عن نهاية الاستيطان العشوائي[40].

كان للنتائج الهزيلة للاستيطان الرسمي، أن أجبرت فرنسا على تغيير الإستراتيجية العامة للاستيطان،والاتجاه نحو الاعتماد على أرباب المال لتحقيق الاستيطان، واختيار منهجية جديدة تقوم على الانتقائية في التعامل مع المهاجرين، وفضلت فتح باب الهجرة للشركات والمؤسسات الفرنسية وإعطائها الحرية في شراء الأراضي، كما وفرت لها كل الإمكانات المتاحة، والتخلي عن الهجرات الاستيطانية الكبرى،والتي تميزت بكونها عشوائية،وبلا منفعة لمصلحة الدولة الفرنسية، والتكفل الكلي بنقل المهاجرين وتوطينهم في الجزائر نتج عنه متاعب مالية واقتصادية أثقلت الوضع المادي المنهك أصلا بفعل العمليات الحربية ضد الثورات المنتشرة هنا وهناك، ووضعت حدا لعصر الاستيطان الرسمي،ليفسح الطريق أمام نوع آخر وهو الاستيطان الحر، كما تم التخلي عن خدمات كلوزيل، وتعيين الماريشال فالي مكانه.

اعتمد الماريشال فالي خلال حكمه للجزائر على توسيع الاحتلال الفرنسي نحو المدن الداخلية،فقد تمكن من احتلال البليدة والقليعة وشرشال في 15 مارس 1840، ومليانة 08 جوان من نفس السنة، كما قام في نفس الفترة بتوسيع المدن المحتلة (قسنطينة، سكيكدة، مليانة، ستورا) لتستوعب العدد الهائل من المستوطنين المتزايدين فيها[41]، ولتحقيق ذلك فقد رأى فالي بوجوب اضطلاع الجيش بدوري الحرب وزراعة الأرض على أساس قلة اليد العاملة الأوروبية،وعدم صلاحية أغلبهم للأعمال الزراعية، وعدم قدرتهم على إمداد المستعمرة باليد العاملة الضرورية، فلا مناص إذن إلا بالاعتماد على الجيش لتوطيد للاستيطان، ومن هذا المنطلق فقد ارتكز النظام العسكري الاستيطاني عند فالي على تنظيمين متوازيين:تأسيس مستعمرات عسكرية، واستعمال المستوطنين من كل الأمم الأوروبية،غير أنّه لا يمكن أن تعّم المستعمرات العسكرية بشكل واسع، لأن الجنود لا يمكن أن يمدوا أكثر من سواعدهم وعضلاتهم، وثقل تكاليف الاستعمار الذي لا تتحمله ميزانية الدولة، ولذلك فإن الأمر كان حسب نظره يتطلب جلب المستوطنين لأموال كبيرة لتخفيف العبء عن الدولة[42]، ولا يرخص أي استيطان خارج الحقوق الاستعمارية الاستثنائية للدولة،وفي سبيل ذلك قام بعرض أراضي الدومين - التي نتجت عن مصادرة

أراضي البايلك والأوقاف - للبيع بسعر وسطي قدر ب 48 فرنك للهكتار الواحد، ثمّ تم تخفيضه إلى 38 فرنك بالمناطق الداخلية ومع ذلك لم يحقق الاستيطان الريفي أهدافه، حيث ظل بطيئا طيلة هذه الفترة .

وما يمكن استخلاصه من سياسة فالي الاستيطانية أنه أخلط بين الاستيطانيين الرسمي الذي ترعاه وتموّله الدولة، والحر الذي يقوم على تشجيع المالكين الأوروبيين الكبار، وخاصة الفرنسيين منهم، للاستيطان والاستثمار في الجزائر، ورغم الجهود التي بذلت طيلة هذه العشرية، إلا أن الاستيطان لم يحقق طموحات الإدارة الاستعمارية، حيث لم يتجاوز عدد المستوطنين خلال كل هذه الفترة 25 ألف شخص، يشكل الفرنسيون منهم نسبة 41.5% والأسبان 32% والباقي من الإنجليز والإيطاليين...[43].

**رابعا- بيجو والعودة إلى الاستيطان الرسمي "عصر السيف والمحراث،أو عصر الجندي المزارع"**

كان بيجو أكبر مخطط لنظرية إبادة الجزائريين،وكان مصمما على إنجاح الاستيطان وجلب الأوروبيين بأعداد كبيرة،فقد جاء في خطابه الذي ألقاه أمام البرلمان الفرنسي يوم 16 تشرين الثاني "نوفمبر" 1840، مايلي:"يجب أن يتحقق غزو فرنسي وأوروبي كبير،وأن نستوطنهم في أفضل الأماكن وأخصب الأراضي،وأينما توجد المياه العذبة .."، وقد اعتمدت سياسة بيجو الاستيطانية على السيف والمحراث،" السيف على رقاب الأهالي، والمحراث بيد المستوطن المحتل"،وذلك بإشراك القوات العسكرية في حركة الاستيطان، وإنشاء القرى الاستيطانية الجديدة، كما عمل على تشجيع الجيش على زراعة الأراضي المجاورة لمعسكراتها، وتمليك المستوطنين العسكريين لأغلبية الأراضي التي تستولي عليها الحكومة، وعلى الزواج بالفرنسيات اليتيمات وتهيئة وسائل الراحة كالمال والمسكن والدواب[44]، وكل ما يشجع الجندي على أداء وظيفيتين في آن واحد، السيف والبندقية للغزو والمحراث والفأس لخدمة الأرض.

وبذلك اعتمدت فلسفة بيجو الاستيطانية على فكرة أساسية، وهي الاستيطان بالجيش، بحيث شجّع على امتلاك قدماء الجيش للأراضي، شريطة استغلالها الفعلي لمدة لا تقل عن 5 سنوات، وعلى فتح باب الجندية للمستوطنين

المدنين،وطور الفكرة سنة 1838 في نشرية بعنوان: **"تأسيس لفيف من الكولونياليين العسكريين"**، لهذا انتظمت الجالية الأوروبية في شكل ميليشيات تحت القيادة العسكرية، واستقرت في مراكز استيطانية مكونة من قطع أرض حضرية وريفية قريبة من مراكز الجيش، نقل المعمرون الجدد للعيش فيها[45].

وبهذه السياسة انتعش الاستيطان العسكري،وما كان بيجو يرعى الاستيطان الرسمي والمنظم،إلا لفشل الاستيطان العشوائي الذي أدى إلى كارثة في سهل متيجة، وكذا رغبته تعزيز النظام العسكري في المناطق التي استوطن فيها الأوروبيون، وذلك لأن أساليب النظام العادية ستؤدي حسبه، إلى نمو تعداد المستوطنين المدنيين الذين يتميزون بقلة الانضباط ونقص الفاعلية، ولذا كان الحل في العسكريين القدامي المتكتلين والمنظمين،الذين من المحتمل أن يتحولوا إلى مستوطنين مثاليين،وفي رأي بيجو فإن الاحتفاظ بالمستعمرة يجب أن يرافق بجهد عسكري مهم،ولمدة طويلة إلى غاية تعويض الجنود بالمستوطنين،ومنحهم أكبر قدر ممكن من الموارد المتاحة، وهو ما سيمثل حلا للمشكلة الجزائرية[46].

استمر بيجو في توزيع الأراضي بالمجان، وفي خلق "المراكز الاستيطانية الزراعية"، وفي بناء القرى الاستيطانية المدنية الخاصة بالأوروبيين، والتي كانت تشيّد جنبا إلى جنب بالقرب من المستوطنات العسكرية، وتزويدها بكل الإمكانات المتاحة لضمان الراحة والأمن، ومن أجل ذلك أصدر قرار أفريل 1841، والذي يمنح الأوروبيين والجيش أراض بالمجان، مع وعد بالتمليك، مما سيفرض على المستوطن المالك إجبارية الإقامة في الجزائر، وفي مارس 1842 قام بيجو بتطبيق البرنامج الاستيطاني الذي أصدره وزير الداخلية الفرنسي، والقاضي بتوسيع الاستيطان نحو باقي المناطق الساحلية، ونحو الداخل،حيث بلغ عدد المستوطنات المشيدة في عهده قرابة استيطانية[47].

وبالرغم من كل النتائج المحققة، ظلت المشكلة التي ظلت تؤرق بيجو في الجزائر، هي انعدام الخبرة والمعرفة لدى الجنود والمعمرين الذين يرافقونهم في زراعة الأرض وخدمتها، ولاسيّما أن الطبيعة والجغرافيا القاسية، وفي مثل هذه الظروف، كان الحل هو التوجه لاختيار مهاجرين أوروبيين يرافقون

الجيش،ويشكلوا فرقا من الميليشيات العسكرية، وهو ما اصطلح عليه آنذاك **"بالعساكر المستوطنين"** مهمتهم كانت خدمة الأرض وحراسة القرى الاستيطانية في آن واحد اشترط بيجو أن تتوفر في هؤلاء المتطوعين من المستوطنين في الجيش الاتصاف بما يلي:

1- أن يكون المنخرط في الميليشيات فرنسيا وشابا طموحا ذو خبرة في القتال، وبلا سوابق عدلية.

2- التمتع بالخبرة المهنية في المجال الزراعي، خصوصا في مجال زراعة الكروم.

3- أن يكون المتطوع متزوجا ويمتلك أسرة[48]، كي يضطر تحمل العمل في الظروف الصعبة .

ولكي يكتمل مشروع الاستيطان عبر فكرة **"الجندي – المستوطن"** استوجب دعم ذلك الجهد الكبير ماديا،فسريعا ظهرت الحاجة إلى دعم المؤسسات والشركات الاقتصادية والمالية للمستوطنين لتساهم في مساعدة الدولة في تمويل الاستيطان،مقابل أن تقوم الدولة الفرنسية بمنحها ممتلكات عقارية وأراض زراعية صغيرة أخرى في كل قرية استيطانية جديدة تصل مساحتها 40 هكتار يخصص الجزء الأكبر منها في زراعة الكروم، وحق الامتياز في قطع الأخشاب من الغابات لمدة عشر سنوات بشكل مجاني[49]، وهذا ما عبّر عنه بيجو في مذكراته التي كتبها**" ب. كرستيان"**، وهو السكريتير الخاص لبيجو، حيث قال: "إذا قارنا بيننا وبين الإنجليز، فإننا نجد بأن الاستيطان الإنجليزي يقوم على دعم الشركات المالية والتجارية، أما نحن فإننا نفتقد للدعم المالي ونفتقر لمساعدة الارستقراطية الفرنسية لنا في مواجهة طبيعة قاسية وبلاد متمردة، يجب علينا جمع كل القوى لجلب النصر، والوقت حاليا ليس مناسبا لفتح إفريقيا لتوافد المهاجرين الضعفاء، والجيش في إفريقيا استطاع أن يجلب نصف الانتصار، والباقي يجب أن تتكفل به الدولة"[50].

ومع ذلك فإن ركيزة الاستيطان لدى بيجو، وهي الجندي أصابها الكلل، واعترت الجندي مشاعر اليأس والملل، فالأرض ليست أرضه، والميدان الزراعي ليس من صلب اهتمامه ولا من ضمن مؤهلاته واختصاصه،

والأوضاع الساخنة في جبهات القتال تزيد من توجساته وهمومه، وهذا ما نستشفه في أحدى رسائل لجندي متقاعد وجهها للماريشال بيجو، تحمل تصويرا مأساويا للحياة التي عاشها الجنود، وهم يطبقون تعليمات بيجو وتوصياته المتعلقة بالاستيطان العسكري، جاء فيها: "سيدي الجنرال، لتعلم أن الجنود مرهقون ويشعرون بالضيم،فهم مسخرون للقتال،وبعد أن يفرغوا من مهام الحرب ينتقلون لورشات البناء، وأشغال الطرق وتجفيف المستنقعات، وقطع الأشجار وشق القنوات، وخدمة الأرض، وغيرها من الأعمال التي لا تنتهي، كل ذلك من أجل المستوطنين ..."[51].

ومن جهته كتب ماكارتي - وهو أحد الأكاديميين المتخصصين في شؤون الشرق وإفريقيا، والمهتمين بمسألة الاستيطان، ومعاصرا ومتابعا للسياسة الاستيطانية لبيجو-: "كان استعمال الجندي الفرنسي في مهمتين صعبتين،التوسع وصد غارات القبائل وحماية المستوطنين المدنيين من جهة، واستعماله لأعمال الزراعة واستصلاح الأرض وبناء القرى والمراكز الاستيطانية من جهة ثانية، هي استراتيجة غير مدروسة، ستكون نتيجتها الحتمية الفشل التام"، وأضاف قائلا: "إن ما ندّعيه عن قوة جيشنا وتنظيمه وصرامته العسكرية، وعن ضعف القبائل العربية وتشتتها ليس حقيقيا، إن القبائل العربية تتمتع بقوة الإيمان بقضيتها، وتتمسك بحقها بالدفاع عن أرضها حتى الموت، وليس لنا إلا أن نقول بأن مراكز مستوطنينا في خطر، والحاجة تدعونا باستمرار إلى توفير المزيد من الحماية لهم، لكن كيف للجيش أن يوفر تلك الحماية، في الوقت الذي نطالبه فيه بممارسة أعمالا زراعية، هي خارجة عن مهامه؟"[52].

نتيجة لما سبق،ولمعالجة مشكلة إرهاق الجيش وتحمليه مسؤولية التوطين انقسمت الآراء في تلك الفترة بين أنصار الاستيطان بالجيش،ومعارضيه، فقد كانت الأطروحات العسكرية،تلقى تأييدا من المشاريع التي أعدها "الكونت غييو" Compte guyot سنة 1841، وكذا الأفكار السانسيمونية التي جاءت لترجمة مشاريع "القديس سيمونيي"، وأعوانه "أوربان جوردان" Urbain jourdan ، "فارنيي باربريغر" Warnier

Berbrugger "لاموريسيار" Lamoricière غيرهم الذين أثروا في العديد من المسئولين حتى في تصورات بيجو[53]، وكانت كل هذه المشاريع تتفق في الهدف والوسيلة: فالأمر يتعلق بمصادرة الأراضي الخاصة بالأهالي ووضعها تحت تصرف المعمرين بمساعدة الدولة،لكنها كانت تختلف في شكل استعمارها: قطع فردية أو مساحات كبيرة رأسمالية، هذه الإجراءات وجدت للتنافس وقبلت كل منها في أجل قصير ومحدود وطبقت برضا من باريس وتأييد لها[54].

ولعل أكثر المؤثرين في قرارات بيجو،كان الجنرال بيليسي، الذي طرح فكرة الاستيطان العسكري بالطريقة الرومانية أي "الرومنة"، فقد كانت آراؤه تقوم على مبدأين أثنين: الأول الغزو ومصادرة الأرض عنوة وإبادة سكانها، والثاني توطين المهاجرين الأوروبيين محل سكانها الأصليين، ففي تقريره المرفوع للحكومة الملكية عام 1847 كتب ما يلي: "يجب الاختيار بين أمرين، إما تشجيع الاستيطان العسكري، أو فتح المجال واسعا أمام حركة الهجرة والتعمير "الاستيطان المدني"، ومن ثم عدم ضمان نتائج تلك السياسة، لأنهم "يعني المستوطنون" سيواجهون سكانا محاربون وشرسون، وهو ما يستوجب أن يكونوا محاربون أشداء،لذا فإن ضمان استمرارية الاستيطان هو الاعتماد على الجيش، وعلى تشكيل ميليشيات من المستوطنين وضمان أمنهم.."[55].

أما المعارضون من الجيش لآراء بيجو في تنفيذ الاستيطان عبر سواعد الجنود فكان يقودوهم الجنرال لاموريسيار- والذي كان أحد رجال الجيش بالجزائر وقائد فرقة الزواف- وبالرغم من أنه كان أحد أنصار الاستيطان الرسمي، إلا أنه كان يختلف مع بيجو في العديد من الأمور، وعلى رأسها طريقة تنفيذ الاستيطان، فالاستيطان في نظره كان يجب أن يقوم على المال والدعم المادي للأفراد والشركات،والسيطرة على إفريقيا تتم بالمال فقط أكثر من حاجتها للرجال، وبالتالي فإنه لا يؤيد كثيرا طريقة الاستيطان العسكري التي مضى بيجو في تطبيقها[56].

رغم كل الانتقادات مضى بيجو في تطبيق أفكاره، ولاسيّما بعد أن استقر الوضع الأمني في الجزائر العاصمة وضواحيها بالمتيجة ابتداء من سنة 1844، ليزداد اهتمام الماريشال بيجو بشكل كبير على تشجيع الاستيطان والزراعة

الذكية، وهي مشروع يعمل على تشجيع التعمير عبر تسليم الأراضي الزراعية للفلاحين المعمرين، وقد طلب من الحكومة الملكية بباريس تخصيص 100 مليون فرنك فرنسي لتسهيل استيطان 100 ألف معمر فرنسي وأوروبي جديد،كما اقترح على توطين رجال الجيش في المناطق المستعمرة خصوصا في منطقة الهضاب العليا ومساعدتهم بكل الوسائل الممكنة لتطوير تلك المناطق وتنميتها، وبالطبع كان جيش إفريقيا هو من يتولى القيام بتلك الأعمال الاستيطانية، كتجفيف المستنقعات والترع أوفي شق الطرق واستصلاح الأراضي، أو بناء الجسور والسدود وحفر الآبار وغيرها وحتى القرى الاستيطانية الجديدة، وبذلك حل عهد الاحتلال عن طريق الفأس والرفش مكان السيف والبندقية، وكان بذلك للجيش وقادته العسكريون دورا في عمليات الاستيطان الأوروبي الكبرى في الجزائر[57].

في ظل استمرارية حماية بندقية الجندي الفرنسي لمشروع الاستيطان، وفي أرض شاسعة وخصبة في سهول متيجة ووهران وعنابة وسكيكدة، ومع كل أنواع الرعاية والدعم المعنوي والمادي من قبل إدارة الاحتلال والحكومة الملكية استطاع الكولون الأوائل التأقلم مع الظروف، فالإمكانيات المادية المتوفرة لديهم، وكل أشكال الرفاهية التي أصبحوا يتمتعون بها،أنستهم ظرفهم القاسية التي عاشوها في بلدانهم الأوروبية، بل تعلقوا بالأرض الجديدة وبهذا الوطن اليافع، الذي كان في نظر الكثير منهم وطنا جديدا في طور النشوء، وقاسيا في الوقت نفسه، لقد حل الأمن، واستشعر المستوطنون بالأمان في ظل حماية الجنود لهم،ففي شهادة لأحد المستوطنين الأوائل،اسمه بول بلان Paul Blanc، نجد تعبيرا عن الشعور بالأمن وبتقبّل الحياة الجديدة: "بالنسبة لي ومنذ إقامتي في الجزائر لم أتوقف أبدا في التفكير والاعتقاد بأنني سأكمل بقية حياتي في باريس،فأنا سأستقر هنا،وفي هذه الأرض الإفريقية أصبحت أحس بالطمأنينة وسط السكان الفرنسيين..".

**خلاصة**

نلخص من هذا البحث إلى مايلي:

- أن الجيش الفرنسي مثّل أداة من أدوات الاستيطان الكبير الذي عرفته الجزائر لأزيد من نصف القرن من الزمن،وقد لعب قادته وخاصة من كلوزيل و بيجو دورا محوريا في التثبيت لقاعدة استيطانية أوروبية من مختلف الجنسيات والأعراق الأوروبية (فرنسيون، مالطيون، اسبان، طليان،....).
- قدم جنرلات الجيش للمستوطنين الأوروبيين كل الوسائل المادية الممكنة، وهيئوا لها كل الظروف من الحماية الأمنية،وإرساء البنية التحتية الضرورية، كتوزيع الأراضي الزراعية وشق الطرق وبناء المستوطنات والمرافق.. وغيرها من الوسائل الأخرى. وكانت النتيجة لهذا المشروع تغيير البنية الديمغرافية وهيمنة العرق الأوروبي على مفاصل المستعمرة، وإخضاعه الجزائري واستغلاله لصالحه.
- اعتبر كل من كلوزيل وبيجو أحد أهم أعمدة الاستيطان، وأكثر المتحميسين لفكرة توطين الأوروبيين في الجزائر، وبذلك ساهموا في نكبة الجزائريين،ليس بالإبادة والقتل فحسب، وإنما بتوطين الغرباء.

**الهوامش:**

[1]- شارل فوريي (1772-1837): رجل اقتصاد وفيلسوف اجتماعي فرنسي صاحب نظرية تحولت إلى مذهب اقتصادي واجتماعي "الفوريرية" « Fouriérisme » اشتراكي واقعي، ولم يكن طوباويا، سبقت أفكاره أفكار كارل ماركس ولويس بلان، أحد منظري الحركة الاستعمارية في الجزائر والعالم . للمزيد عن شارل فورييه، ومذهب الفوريرية، يرجى العودة إلى النجفي (حسن): القاموس الاقتصادي، الطبعة الأولى، مطبعة الإدارة المحلية، بغداد، العراق، 1977، ص133.

[2]- jeanson (Francis): L'Algérie hors la loi, Enag édition -Alger ,1993,p42.

[3]- Ibid, p p 42,43.

[4]- Sessions (Jennifer): Les colons avant la IIIe République: peupler et mettre en valeur l'Algérie, In: Histoire de L'Algérie à la période

colonial 1830-1962, sous la direction de Abderrahmane Bouchène, Jean-Pierre Peyroulou, Edition de la découverte ,Paris-2014, p117.

[5]- Lamboley (Claude): Les Colons en Algérie Histoire d'une famille ordinaire, Bulletin de l'Académie des Sciences et Lettres de Montpellier, 2011, p46.

[6]- Lamboley (Claude): Les Colons en Algérie Histoire d'une famille ordinaire, Bulletin de l'Académie des Sciences et Lettres de Montpellier, 2011,p46.

[7]- de Girardin (Emile): la civilisation de L'Algérie, Imprimerie Serrières- paris ,1860, p-p 65-86.

[8]-Muyl ( Marie): Les français D'Algérie : socio-histoire d'une identité, Tome1, Thèse pour obtenir le grade de docteur, soutenu le12 décembre 2007, UFR de science politique Université de paris-panthéon –Sorbonne, France, p26.

[9]-Anonyme : L'Algérie ,Immigrants et indigènes ,Challamal Editeur - Paris,1836,p -p59 -61

[10]- Shefer (Christian): La conquête totale de l'Algérie 1839-1843, Valée, Bugeaud, Soult, Revue de l'histoire des colonies française, 1916, p23.

[11]- Picot (Jean- Bonaventure Charles): Colonisation de l'Algérie, Moquet Librairie –Editeur- Paris, 1848, p02.

[12]- Dubois (Marcel) Terrier (Auguste) : Les colonies françaises, Un siècle d'expansion coloniale, Augustin Challamel Editeur- Paris, 1902, p203.

[13]-Anonyme : pétition des colons d'Alger à la chambre des députés, Imprimerie selligue -,Paris, 1833, p08.

[14]- Bertrand (Clauzel): Nouvelles observations sur la colonisation d'Alger ,Imprimerie selligue- Paris,1833 p29.

[15]-Dubois(Marcel ): op-cit,P205.

[16]- Desnos( Odolant): possibilité de coloniser Alger ,G A , Dentu Imprimeur- Libraire- Paris, 1831, p47.

[17]- Pétition des colons d'Alger à la chambre des députés, op-cit, p09.

[18]- Flandin (Jean –batiste) : Regenced Alger ,peut on la coloniser ? comment ?, Féret libraire Au palais royal- paris, 1833, p01.

[19]- Ibid,p,p01,02.

[20]- لوي بلان « Louis Blanc » (29 أكتوبر 1811 مدريد - 6 ديسمبر 1882 كان): سياسي منظر ومفكر اقتصادي واجتماعي اشتراكي، برز دوره خلال الثورة الاجتماعية التي عصفت بالملكية للويس فيليب (المساواة)، انتخب عضوا في الحكومة المؤقتة بعد إعادة النظام الجمهوري عام 1848، ثم عضوا في البرلمان الفرنسي خلال الجمهورية الثالثة، تتلخص أفكاره الاقتصادية في المنهج الاشتراكي بإنشاء مصانع وطنية لتشغيل العمال الذين ينتخبون رؤسائهم بتدخل الدولة وتقديم المعونات لهم، مما سيسهم حسب رأيه في القضاء على الرأسمالية.للتعرف أكثر على الأفكار الاقتصادية للمفكر لويس بلان، يرجى الإطلاع على مؤلفاته :

- Catéchisme des socialistes, aux bureaux du nouveau monde, Paris, 1849.
- Ce qu'étaient autrefois les confréries ouvrières, imp.de Clère, Paris, 1873.
- Histoire de la révolution de 1848, Edition Lacoix, verboeckhoven , et Cie, Paris,1870, 2vol ( cette histoire est combinaison de l'appel aux honnêtes gens ,de pages d'histoire de la révolution de février 1848et de quelque études parues dans le nouveau monde.)

[21]- القفازات الصفراء: اسم أطلق على مجموعة المستوطنين الأوائل ذوي الثروات الكبيرة، الذين وظفوا أموالهم الطائلة في خدمة الاستيطان ودعم حركة المهاجرين نحو الجزائر، كان لهم دورا كبيرا في نشاط الحركة الاستيطانية بشراء الأراضي الواسعة في إقليم متيجة وجلب المستوطنين إليها وتقديم القروض لهم، إلى غير ذلك من المساعدات، أبرزهم الارستوقراطي البارون دوفيالار، الذي تكفل بنقل المهاجرين ولاسيما الاسبان منهم إلى الجزائر، ما عرضه إلى مشاحنات مع الحكومة الملكية.للمزيد أنظر:

-Jean –pierre(Bonnafont) : Douze ans en Algérie,1830-1842,Edition Dentu ,Paris,1880.

[22]- كاتب (كمال): أوروبيون"أهالي"ويهود بالجزائر1830-1962تمثيل وحقائق السكان، تقديم بنحامين ستورا، ترجمة رمضان زبدي، دار المعرفة للطبع-الجزائر، ص25.

[23]- فركوس (صالح ) وآخرون: التشريعات المنظمة للاستيطان الاستعماري في الجزائر وآثارها على المجتمع الجزائري، مشروع بحث وزاري في إطار: البرنامج الوطني للبحث (pnr)، مخبر التاريخ للأبحاث للدراسات المغاربية قسم التاريخ، جامعة 08 ماي1945، 2010، ص، ص27، 28.

[24]-Dubois(Marcel ) : op-cit,P205.

[25]- فركوس (صالح ): المرجع السابق، ص30.

[26]-Clauzel(Bertrand): op-cit,p02

[27] -Ibid, p24.

[28]- فركوس (صالح ): المرجع السابق، ص30.

[29] -Muyl ( Marie) : op-cit, p p 23,24.

[30]- فركوس (صالح): المرجع السابق، ص، ص31، 32.

[31]- بمقتضى هذا المرسوم أصبحت الجزائر جزءا من الممتلكات الفرنسية أصدره الملك لويس فيليب، والقانون يكتسي أهمية بالغة في تاريخ الجزائر الفرنسية، بحيث مهد لإلحاق الجزائر بفرنسا بعد إصدار دستور نوفمبر 1848 الذي نصت مادته التاسعة بعد المائة بأن "الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا"، كما استجاب للكولون فيما يتعلق بالتمثيل النيابي، وتسيير الجزائر بواسطة المراسيم الرئاسية، والتأكيد على نفس التقسيم الإداري الذي أفرته أمرية 15أفريل 1845.أنظر:

Rambaud(a): histoire générale du 15eme siècle à nous jours révolutions et guerres nationales, Armand colin et Cie , Paris,1899.

[32]- الجنرال دامريمون: اسمه الكامل شارل ماري دينيس دامريمون (Charles marie Denys de Damrémont)، جنرال فرنسي، من مواليد 8 فبراير 1783بشومان (المارن العليا)عسكري، قائد سلاح المدفعية خلال الحملة الفرنسية على الجزائر عين في 12فبراير 1837حاكما عاما للمكتسبات الفرنسية بشمال إفريقيا، شارك في معركة الثنية بتاريخ 17ماي 1837، لقي حتفه بتاريخ 13أكتوبر 1837خلال حصاره لمدينة قسنطينة .

[33]- فركوس ( صالح) : المرجع السابق، ص، ص31، 32.

[34]- M.E.F (Gautier) : Lévolution de l'Algérie de 1830-1930, publications du comité métropolitaine du centenaire de l'Algérie, Alger, 1930, p14.

[35]- لوكا (فيليب)، جون( كلود فاتان): جزائر الأنثروبولوجيين نقد السوسيولوجيا الكولونيالية، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال، منشورات وزارة المجاهدين-الجزائر، 2002، ص، ص255، 256.

[36]- Anonyme : Colonisation d'Alger ,causes qui arrêtent les progrès, Imprimerie de J-A
Boudon- Paris,SD, p11.

[37]- Henni (Ahmed) : La colonisation agraire et le sous-développement en Algérie,Enag Edition- Alger, 2009

[38]- Bronde (Pasquier) : Historique de la colonisation paysanne en Algérie , Paris , SD, p15.

[39]- سلوان (رشيد رمضان) و المشهداني (مؤيد محمود حمد): الاستيطان الأوروبي في الجزائر 1830-1871، مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد 20، العدد الرابع، جامعة تكريت، العراق، نيسان 2013، ص288.

[40]- فركوس( صالح): المرجع السابق، ص37.

[41]-Ville de Constantine, Discours prononcé par le maire à l'inauguration de la statue du maréchal valée , Typographie de louis marle ,Constantine 1866,p11.

[42]- سيساوي( أحمد): البعد البايلكي في المشاريع السياسية الفرنسية من فالي إلى نابوليون الثالث 1838-1871، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2، السنة الجامعية 2013-2014، ص56.

[43]- حيمر (صالح) : السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر 1830-1930، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2014، ص63.

[44]- سلوان رشيد رمضان ومؤيد المشهداني: المرجع السابق، ص، ص291، 292.

[45]-كاتب (كمال): المرجع السابق: ص131.

[46]- فركوس (صالح): المرجع السابق، ص39.

[47]- Fallot (Emil) : Le peuplement français de L'Afrique du nord, Bibliothèque de revue des questions diplomatiques et coloniales - Paris 1906,p20.

[48]-Bronde( Pasquier) : op-cit, p 15.

[49]- رغم أن هناك اختلافات بين أفكار و أفكار ألكسي دي طوكفيل حول الاستيطان، إلا أن الواضح فإن بيجو قد تأثر بالملاحظات الدقيقة والأفكار الفلسفية التي طرحها طوكفيل، ومن بينها ضرورة تزويج الجنود الفرنسيين لسببين رآهما طوكفيل مهمان: الأول الحنين والشوق الذي يربط الجندي لوطنه وأهله، ولذا فإنه حالما ينتهي من آداه خدمته العسكرية

سيغادر الجزائر، وهذا يعني خسارة للاستيطان، أما الثاني هو تزويج الجنود سيشجعهم على البقاء، فالأرض والأسرة عاملان مهمان يساعدان على بقاء الجندي وتأقلمه.للمزيد راجع :

دو طوكفيل (أليكسي): نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان، تر إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر، 2008، ص73.

[50]- M : La colonisation de l'Algérie par l'armée ,Imprimerie et lithographie de j . jacquin- Besançon, France, 1881, p p 03,04.

[51]- Pitois (Christian) : Souvenirs de Maréchal Bugeaud , de Algérie et du Maroc , Tome 1,Alexandre Cadot éditeur-Paris,1845, p p121-126.

[52] -Desjobert (A): Lettre d'un vieux soldat à M. le maréchal Bugeaud, 07mars1845, typographie de Firmin Didot - Paris ,1845, p p 03,04.

[53] -O (Mac Carthy) : La revue de l'orient et de l'Algérie, Tome1, Just Rouvier libraire- paris , 1847, p p25,26.

[54]- لم تكن كل الآراء والأفكار المطروحة خلال فترة بيجو تساير تماما استراتيجية بيجو في الاستيطان فقد كانت أفكار أخرى كثيرة، منها الأفكار التي طرحها "الاتجاه الفورييري"« Fouriérisme » ، والذي هو مذهب فلسفي اجتماعي نسبة إلى الفيلسوف شارل فورييه، وأفكار "السانسيمونيين" « Saint-simoniens » بزعامة أنفنتان « Prosper Enfantin»، والقس لاندمان « Landmen »، الذي أنشأمزرعة في مجاز عمار في مقاطعة بونة، مخصصة لاستقبال الأطفال الذين يعثر عليهم، بينما كانت أفكار السانسيمونية تتلخص في إنشاء قرى اشتراكية نموذجية تسودها الإخوة بين الجميع، وقد أنشئوا مستوطنة حسب هذا التصور الفلسفي في سان دونيي "سيق"عام 1847. للمزيد حول الموضوع راجع: دوطوكفيل (ألكسي): المصدر السابق، ص72.

[55]- E. de reynaud (Pellissier): quelque mots sur la colonisation militaire en Algérie,Garnier Frères ,Librairie-Paris, 1847,p09.

[56]- Favrod (Charles –Henri ): la révolution algérienne, Edition Dahleb-Alger,2007,p25.

[57] -Hugonnet (Fred): Français et Arabes En Algérie , Lamoricière Bugeaud , Dumas ,Abed-elkader, Edition Challamel ainé- Paris, 1860, p102.